

آفات العلماء في ضوء قوله تعالى

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا....﴾ الأعراف : ١٧٥-١٧٧

وسبل الوقاية منها

إعداد

الدكتور / عبدالله هاشم الشريف

الأستاذ المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

قسم الدراسات القرآنية

المدينة المنورة - السعودية

من ٥٧ إلى ١٢٠



آفات العلماء في ضوء قوله تعالى ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَا بَنِي آدَمَ الْأَعْرَافَ :

وسبل الوقاية منها ١٧٧-١٧٥

عبدالله هاشم الشريف

قسم الدراسات القرآنية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة طيبة - المدينة المنورة السعودية.

البريد الإلكتروني: Abdha11@hotmail.com

ملخص البحث :

البحث يسلط الضوء على الآفات التي تتسبب في انحراف العالم عن الحق من خلال بعض آيات من سورة الأعراف ، وتمثلت الآفات في الركون إلى الدنيا واتباع الهوى ، ومعرفتها يجعل العالم على حذر منها واستحضار لها حتى لا تزل قدمه ، كما تضمن البحث السبل الواقية منها من الإخلاص والعمل و البصيرة بالدنيا وتذكر الآخرة و خشية الله تعالى ومراقبته وتذكر التبعة في اقتداء الناس بهم ، ومن أهم النتائج أن فتنة العلم من أشد الفتن التي يبتلى بها الناس وأن العلم بلا عمل خطر على العالم يوجب إقامة الحجة عليه ، وأن زلته زلة للعالم ، والشيطان بالمرصاد لمن ينحرف عن طريق الحق فيستحوذ عليه ويقوده حيث شاء ، وأن ضرب الأمثال من أساليب القرآن البارزة لتقريب المعاني للأفهام وأن رفعة شأن العلماء في الدنيا والآخرة بالعلم والعمل به والتخلق بأخلاقه ، ووضعهم في الدنيا والآخرة باتباع الهوى والركون إلى الدنيا .

الكلمات المفتاحية : اتباع الهوى ، الإخلاق إلى الأرض ، الانسلاخ من الآيات ، سبل الوقاية ، فتنة العلم .

الأعراف : ١٧٥-١٧٧ ﴿وَإِنَّ عَلِيمًا لِّبَأْسِ الَّذِي كَتَبْنَاهُ آيَاتِنَا...﴾ WeaknessesOf The

**Scholars In Light Of Quranic Verse :
And The Means Of Prevention From It.**

Abdullah Hashim Alsharif

**Department Of Quranic Studies, The Of Faculty Of Arts And
Humanities, University Of Taybah, Medinah Almunawwarah
Kingdom Of Saudi Arabia**

Email: Abdha11@hotmail.com

Abstract:

This paper spotlights on the weaknesses that cause the scholars deviation from the truth through some verses of Surat Al-A'raf, and the pests epitomized in their tendency to the dunya and following their appetences. Awareness of these weaknesses make scholars warned and evoke of these pests so as not to slip his foot. Furthermore, the research includes preventive ways such as sincerity and acts of worship and insight of reality of the life and remembering the afterlife and fear of Allah and induce the responsibility in following people. The most important conclusions of this paper entails the fitnah of Islamic science as being one of the most afflicted plagues people and that science without work is a big dilemma of scholars, and their slip results in deviation of their followers.

These make the devil Lookout for those who deviate out of the right and control and lead them where he wants, and mention of proverbs are one of the Quranic methods to bring the meanings and make things understandable for people. The upgrading of scientists in the world and the Hereafter science and work and ethics, and put them in the world and the Hereafter following their appetences..

**Following desires Eternity on the land Dissociation verses
Means of protection Affliction of knowledge**

**Keywords: followers of passion, immortality to the earth,
separation from verses, ways of protection, sedition of science.**

المقدمة

الحمد لله اهتدى بفضلته المهتدون ، وضل بعدله الضالون ، والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فإن الله تعالى جعل هذه الحياة الدنيا دار بلاء وامتحان ليبلو العباد ، ويمحص ما في قلوبهم ، قَالَ تَمَالَى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾ الكهف: ٧ وَقَالَ ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٢﴾ الملوك : ٢ وهذا البلاء والامتحان يكون بالشر والخير كما قال سبحانه ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ الأنبياء: ٣٥

قال ابن عباس " نَبْتَلِيكُمْ بِالشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ ، وَالصَّحَّةِ وَالسَّقْمِ ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرَ ، وَالْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، وَالطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالَةَ " (١) وقال ابن زيد : " نَبْلُوهُمْ بِمَا يُحِبُّونَ وَبِمَا يَكْرَهُونَ ، نَخْتَبِرُهُمْ بِذَلِكَ لِنُنظَرَ كَيْفَ شُكْرُهُمْ فِيمَا يُحِبُّونَ ، وَكَيْفَ صَبْرُهُمْ فِيمَا يَكْرَهُونَ " (٢) وهذه الفتنة قد أخبر رسول الله صلى عليه وسلم بكثرتها وتتابعها على أمته حتى تشد وتعضم عليها في آخر الزمان قرب وقوع الساعة ، جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : أَشْرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُطَمٍ (٣) ، مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : « هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى ، إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ

(١) ابن جرير ، جامع البيان (ج ١٦ / ٢٦٩)

(٢) ابن جرير ، جامع البيان (ج ١٦ / ٢٦٩)

(٣) الأطم بالضم بناء مرتفع ، ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج ١ / ٥٤)

الْقَطْرِ) ^(١) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْفَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي....." ^(٢). وهذه الفتن تتعدد وتتنوع ، فمنها فتنة الأموال والأولاد كما في قوله ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ التغابن: ١٥ ومنها فتنة النساء كما في قوله تعالى ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ آل عمران: ١٤ وقوله صلى الله عليه وسلم : (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) ^(٣) ومنها فتنة السلطان والجاه كما في قوله تعالى : ﴿ إِرْبَ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ القصص: ٤ ومنها فتنة العلم وهي من أشد أنواع الفتن ، لاسيما في هذا العصر الذي عصفت فيه فتن الشهوات والشبهات ، واشربأت بأعناقها بكافة صورها وأشكالها حتى ما كاد أحد يسلم من تعرضها له ، فسلم منها من سلمه الله

(١) البخاري ، صحيح البخاري فضائل المدينة / باب آظام المدينة ، ٢١/٣ : رقم ١٨٧٨ ، مسلم ، صحيح مسلم ، الفتن وأشرط الساعة / باب نزول الفتن كموقع القطر ٢٢١١/٤ : رقم الحديث ٢٨٨٥

(٢) أبو داود ، سنن أبي داود ، الفتن والملاحم / باب النهي عن السعي في الفتنة ، ١٠٠/٤ : رقم الحديث ٤٢٧٩ ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري - النكاح / ما يتقي من شؤم المرأة ، ٨/٧ رقم الحديث ٥٠٩٦ ، مسلم ، صحيح مسلم ، الرقاق / أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار

النساء وبيان الفتنة بالنساء ٢٠٩٧/٤ رقم الحديث ٢٧٤٠

وهوى من هوى - نسأل الله تعالى العافية والستر - ولا يخفى أن العلم من أجل النعم التي ينعم الله بها على عبده ، ولا بد من تقديرها والمحافظة عليها وعدم الافتتان بها .

مشكلة البحث:

هل أهل العلم جميعا يسرون على الجادة ؟

هل أهل العلم في أمن من الفتنة ؟

هل افتتان العلماء وتنكبهم الطريق له أثر سلبي على المجتمع ؟

هل القرآن الكريم أشار إلى خلل عند بعض أهل العلم يستدعي تأمله وبيان ما يرفقه ؟

وليس لمجال البحث حدود بزمان أو إقليم معين ، حيث لا يكاد زمان أو إقليم يخلو من علماء وقد يكون منهم من تنكب الطريق ولا بد أن يرجع إلى الجادة .

ويهدف البحث إلى الوقوف على سبل الوقاية من الأدواء التي قد تصيب بعض أهل العلم ، ودور الشيطان في انتهاز الفرصة لتزيين الباطل لهم وتولي قيادهم عند انحرافهم ليكونوا من الغاوين المضلين ، نتعرف على ذلك على حد قول القائل^(١) :

للشر لكن لتوقيه

عرفت الشر لا

من الناس يقع فيه

فمن لا يعرف الشر

وهذا ما دعاني إلى اختيار آيات من كتاب الله تعالى - مجال البحث - تتضمن بعض الآفات التي يمكن أن تقطع الطريق على العالم أو طالب العلم فتذهب

(١) البيتان منسوبان لأبي فراس الحمداني ، ينظر : الثعالبي ، يثمة الدهر في محاسن

ببهجة العلم ورونقه ، وتجعله خاسراً لدنياه وأخراه ، وهي من أشد الآيات على أصحاب العلم - كما يقول الإمام البغوي^(١) - تجعلهم يراجعون أنفسهم بين الفينة والفينة ويحاسبونها حساب الناقد البصير ، قال تعالى فيها :

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧

(١) البغوي ، معالم التنزيل ، (ج٢/٢٥١)

وقد انتظمت خطة البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة وفهرس للموضوعات والمراجع .

خطة البحث :

المقدمة

المبحث الأول : بين يدي الآيات وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مناسبة الآيات لما قبلها

المطلب الثاني : سبب نزول الآيات

المطلب الثالث : زمن نزول الآيات

المبحث الثاني : تفسير الآيات تفسيراً تحليلياً مع إبراز بعض النكات النافعة

المبحث الثالث : آفات العلماء من خلال الآيات وفيه مطلبان :

المطلب الأول : اتباع الهوى

المطلب الثاني : الركون إلى الدنيا

المبحث الرابع / سبل الوقاية من آفات العلماء وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول : الإخلاص والعمل

المطلب الثاني : البصيرة بالدنيا وتذكر الآخرة

المطلب الثالث : الخوف من الله تعالى ومراقبته

المطلب الرابع : تذكر التبعة في اقتداء الناس بهم.

المبحث الأول : بين يدي الآيات وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مناسبة الآيات لما قبلها

المطلب الثاني : سبب نزول الآيات

المطلب الثالث : زمن نزول الآيات

المطلب الأول : مناسبة الآيات لما قبلها

هناك عدة أوجه في اتصال هذه الآيات بما قبلها وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾ (الأعراف:

١٧٢ - ١٧٤

الوجه الأول : لما كَانَ تَعَالَى قَدْ ذَكَرَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى تَوْحِيدِهِ تَعَالَى وَتَقْرِيرِ رُبُوبِيَّتِهِ وَذَكَرَ إِقْرَارَهُمْ بِذَلِكَ وَإِشْهَادَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ ذَكَرَ حَال مَنْ آمَنَ بِهِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ كَفَرَ كَحَالِ الْيَهُودِ كَانُوا مُقْرِنِينَ مُنْتَظِرِينَ بَعَثَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا أَطْلَعُوا عَلَيْهِ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنزَلَةِ وَتَبَشِيرِهَا بِهِ ، وَذَكَرَ صِفَاتِهِ ، فَلَمَّا بُعِثَ كَفَرُوا بِهِ^(١).

الوجه الثاني : لما نهى عن تقليد الآباء في الدين ، بين في هذه الآية حال علماء السوء ، الذين يختارون الدنيا على الآخرة ، نهيا عن تقليدهم واتباعهم ، كما نهى عن تقليد الآباء^(٢).

(١) أبو حيان ، البحر المحيط (ج ٥ / ٢٢٠)

(٢) القاسمي ، محاسن التأويل (ج ٥ / ٢٢٤)

الوجه الثالث : لما ذكر الله لليهود ما أخذ عليهم في كتابهم من الميثاق الخاص^(١) الذي انسلخوا منه، وأتبعه الميثاق العام الذي قطع به الأعذار، أتبعهما بيان ما يعرفونه من حال من انسلخ من الآيات، فأسقطه الله من ديوان السعداء، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يتلو عليهم، لأنه - مع الوفاء بتبكيتهم - من أدلة نبوته الموجبة عليهم اتباعه^(٢).

ويمكن أن يقال : لما ذكر الله تعالى ما أخذه على بني آدم من ميثاق توحيده وإقرارهم به وإبطال حججهم في مخالفته حال وقوفهم بين يديه ، بين حال من نقض العهد بعد ما من الله عليه بالعلم العاصم من الضلالة بسبب أفعال أوبقته فيكونوا منها على حذر ، ولا يظلم ربك أحداً.

(١) وهو قوله تعالى (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ

وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) الأعراف : ١٦٩

(٢) البقاعي ، نظم الدرر (ج ٨ / ١٥٦)

المطلب الثاني / زمن نزول الآيات :

معرفة زمن نزولها يقودنا لمعرفة زمن نزول سورة الأعراف لنتبين هل هي مكة أم مدنية . وللعلماء ثلاثة أقوال في ذلك :

الأول : أنها مكة كلها وهو مروى عن ابن عباس^(١). وعبدالله بن الزبير^(٢) ، وقال ابن الجوزي : وهذا قول الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد^(٣).

الثاني : أنها مكة إلا قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ الأعراف: ١٦٣ إلى قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الأعراف: ١٧٢ فإنهن مدنيات وهو محكي عن مقاتل^(٤).

الثالث : أنها مكة إلا خمس آيات أولها قوله تعالى ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ الأعراف: 361 يعني إلى قوله

(١) النحاس ، الناسخ والمنسوخ ، (ص ٤٤٥)

(٢) السيوطي ، الدرر المنثور (ج ٢ / ٢١٣)

(٣) ابن الجوزي ، زاد المسير (ج ٢ / ١٠٠)

(٤) ابن الجوزي ، زاد المسير (ج ٣ / ١٢٦) ، ابن عطية ، المحرر الوجيز

(ج ٢ / ٣٧٢)

تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْكَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ الأعراف : ١٦٧ وهو محكي عن ابن عباس وقتادة (١).
وبالنظر إلى هذه الأقوال فإن آيات البحث مكية ولا خلاف في ذلك

(١) الماوردي ، النكت والعيون (ج ٢ / ١٩٨) ، ابن الجوزي ، زاد المسير

(ج ٣ / ١٢٦)

المطلب الثالث / أسباب النزول

معرفة سبب النزول مما يعين على فهم الآيات بل بعض الآيات لا يمكن معرفة تفسيرها حتى يقف المفسر على سبب نزولها ، ويجعلها الواحدي أوفى ما يجب الوقوف عليها - أي من علوم القرآن - وأولى ما تصرف العناية إليها^(١) ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"^(٢).

وقبل الخوض في أسباب نزول هذه الآيات أذكر قضيتين تتعلق بهذا المبحث : القضية الأولى : لم يذكر أحد من المفسرين سبب نزول صريح لنزول هذه الآيات ، وغاية ما ذكره أنها نزلت في كذا وكذا ، وهذا من قبيل سبب النزول غير الصريح فتارة يراد به أنه سبب النزول ، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب^(٣).

القضية الثانية : أن اعتماد السلف من الصحابة والتابعين في بعض ما ذكره ممن نزلت فيه الآيات كان على ما أخذوه عن أهل الكتاب استناداً على الإذن لهم بالتحديث عنهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)^(٤).

(١) الواحدي ، أسباب النزول (ص ١٠)

(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (ج ١٣ / ٣٣٩)

(٣) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ٣٧ / ٣٣٩ ، السبب ، قواعد التفسير (ج ١ / ٥٥)

(٤) البخاري ، صحيح البخاري ، أحاديث الأنبياء / باب ما ذكر عن بني

إسرائيل ، ٤ / ١٧٠ رقم الحديث ٣٤٦

إذا علم هذا فقد تعددت أقوال المفسرين فيمن نزلت الآيات، وسأقتصر على أشهرها وأقربها لسياق الآيات وظاهر معناها:

القول الأول^(١): أنها نزلت في بلعم أو بلعام بن باعر أو باعوراء ، وهو مروى عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وعكرمة ، وكعب الأحبار ومالك بن دينار ، واختلفوا فيه ، فقيل كان من بني إسرائيل^(٢)

وقيل : كان من الكنعانيين مدينة الجبارين^(٣) وقيل : كان من اليمن^(٤) وقد ذكروا له قصصا متعددة فيها غرابة ، أمثلها مما يوافق ظاهر الآيات ما ذكره ابن أبي حاتم عن مالك بن دينار قال : بَعَثَ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى بَلْعَامَ وَكَانَ مُجَابِبَ الدَّعْوَةِ وَكَانَ يَفْدُمُهُمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَبَعَثَهُ إِلَى مَلِكِ مَدْيَنَ يَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ، فَأَقْطَعَهُ وَأَعْطَاهُ فَتَبَعَ دِينَهُ وَتَرَكَ دِينَ مُوسَى فَنَزَلَتْ

(١) ينظر أصحاب هذا القول في ، ابن أبي حاتم ، تفسير القرآن العظيم (ج ١٠ / ٥٦٦ - ٥٦٩) ، الواحدي ، أسباب نزول القرآن (ص ٢٣٠)

(٢) روي عن ابن مسعود ومجاهد ، الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٦٧ ، ٥٦٨)

(٣) قاله ابن عباس ، الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٧٠) ، ابن أبي حاتم ، تفسير القرآن العظيم ، (ج ٥ / ١٦١٧)

(٤) نسب لابن عباس في رواية أخرى ، الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٦٩)

هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ
الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴾^(١)

القول الثاني^(٢) : أنها نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي وهو مروى عن
عبدالله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب والكلبي وزيد بن أسلم . وكان
من خبره أنه كان قد قرأ الكتب القديمة وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا فطمع
أن يكون هو ذلك الرسول ، وتزهّد وتوخي الحنيفية دين إبراهيم ورفض عبادة
الأصنام وحرّم الخمر وكان يقول :

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور

وله شعر كثير في أمور إلهية وقد اتفق أن خرج إلى البحرين^(٣) قبل البعثة ،
وأقام هنالك ثمان سنين ثم رجع إلى مكة ووجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد بعث ، فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه
فدعاه إلى الإسلام وقرأ عليه سورة (يس) حتى إذا فرغ منها وثب أمية
فتبعته قريش تقول : ما تقول يا أمية ؟ فقال أشهد أنه على الحق ، قالوا فهل
نتبعه ؟ فقال : حتى أنظر في أمره ، وتردد في الإسلام ، فخرج إلى الشام ثم
رجع يريد الإسلام فوصل إلى بدر بعد الوقعة بيوم أو نحوه فقال : من قتل

(١) ابن أبي حاتم ، تفسير القرآن العظيم (ج ٥ / ١٦١٨)

(٢) ينظر أصحاب هذا القول في : ابن أبي حاتم ، تفسير القرآن العظيم (ج

٥ / ١٦١٦) ، الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٧٢) ، ابن الجوزي ، زاد

المسير (ج ٣ / ٢٢٠ ، ٢١٩)

(٣) هي الأحساء اليوم ، عاتق بن غيث ، معجم المعالم الجغرافية (ج

هؤلاء؟ فقيل محمد صلى الله عليه وسلم فقال : لا حاجة لي بدين من قتل هؤلاء ، وترك الإسلام ورثى من قتل من المشركين يوم بدر وقال : الآن حلت لي الخمر وذهب إلى الطائف بلاد قومه فمات كافراً^(١) وروي أنه قال عند موته : أنا أعلم أن الحنيفية حق ولكن الشك يدخلني في محمد^(٢) وقد جاء فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " فلقد كاد يسلم في شعره " لما استنشد الشريد بن سويد من شعره فأنشده^(٣)

وهذا القول مال إليه الطاهر بن عاشور في تفسيره^(٤) على اعتبار أن ضمير (عليهم) في قوله (واتل عليهم) راجع إلى المشركين وأن الأقرب أن يكون صاحب هذا النبأ ممن للعرب إمام بمجمل خبره ، وضعف قول القائلين بنزولها في بلعام بن باعوراء بسبب الاختلاط والاضطراب في قصته وأن التحقيق أن بلعام كان من صالحى أهل مدين ولم يتغير حاله كما هو مذكور في بعض الإصحاحات من التوراة ، ووافقه على هذا التضعيف القاسمي^(٥) في تفسيره بحجة عدم روايتها في جوامع الآثار الصحيحة عندنا وعدم مطابقتها لما عند أهل الكتاب .

(١) ابن عطية ، المحرر الوجيز (ج ٤٧٧/٢) ، الألويسي ، روح المعاني

(ج ١٠٥ / ٥) ، ابن عاشور ، التحرير والتنوير (ج ٩ / ١٧٤)

(٢) ابن عاشور ، التحرير والتنوير (ج ٩ / ١٧٥)

(٣) مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب الشعر ، ٤ / ١٧٦٧ : رقم الحديث ٢٢٥٥

(٤) ابن عاشور ، التحرير والتنوير (ج ٩ / ١٧٤ ، ١٧٥)

(٥) القاسمي ، محاسن التأويل (ج ٥ / ٢٢٤)

والقول الأول المذكور عن ابن عباس وابن مسعود لعله هو الأقرب في نزول الآيات فيه لاشتهاره عند المفسرين كما يقول القرطبي^(١) وابن كثير^(٢) وعليه أكثر السلف ، ولموافقته لسياق الآيات حيث كان الحديث قبلها عن بني إسرائيل في آيات كثيرة حتى جاء قوله تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ﴾ الأعراف: ١٦٩ وقوله ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ الأعراف: ١٧١ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الأعراف: ١٧٢

ثم جاءت هذه الآيات عن رجل منهم ورث الكتاب ونقض الميثاق الأول الذي أخذه الله عليه ، وميثاق الكتاب الذي يلزمه بالعمل به حتى يحذروا من صنيعه ولا يصيبهم ما أصابه ، بغض النظر عن الروايات الإسرائيلية التفصيلية المحكية في قصته ، المهم أنه رجل من المتقدمين في زمن بني إسرائيل آتاه الله علماً فحكى من قصته في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

واقترنت الآيات على مواضع العبرة من أفعاله وأحواله دون ذكر اسمه وتفصيل قصته، قال أبو السعود : " هو الأنسب بمقام توبيخ اليهود بهناتهم"^(٣) وما ذكره ابن عاشور من كونه من صالحى أهل مدين ، فلعله مما حرف في كتبهم كعادتهم في التحريف أو يكون شخصا آخر غيره ، وقال ابن كثير عما روي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما من كونه أمية بن أبي الصلت : "

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (ج ٧ / ٣٢١)

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (ج ٣ / ٤٥٨)

(٣) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ، (ج ٣ / ٢٩٢)

وكانه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبهه^(١) وشيخ المفسرين الإمام الطبري قد توقف فيهما وقال : "وَلَا خَبَرَ بِأَيِّ ذَلِكَ الْمُرَادِ وَأَيُّ الرَّجُلَيْنِ الْمَعْنَى يُوجِبُ الْحُجَّةَ وَلَا فِي الْعَقْلِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْمَعْنَى بِهِ مِنْ أَيِّ. فَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ، وَيُقَرَّرُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ"^(٢)

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (ج ٣ / ٤٥٨)

(٢) الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٧٥)

المبحث الثاني/ تفسير الآيات تفسيراً تحليلياً وإبراز بعض النكات النافعة
 قال تعالى ﴿ وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ
 ٱلسَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾

قوله ﴿ وَآتَلُّ ﴾ الواو للعطف والفعل معطوف على مضمر مقدر قبله ، قال
 الزجاج " : المعنى اتل عليهم إذ أخذ ربك من بني آدم واثل عليهم نبأ الذي
 آتينا آياتنا فأنسلخ منها" ^(١) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر
 أن يتلو هذا النبأ ، والتلاوة أخص من القراءة ، فكل تلاوة قراءة وليس كل
 قراءة تلاوة ، فالتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة ، تارة بالقراءة وتارة
 بالارتسام لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب ، ومعنى (تلاه) تبعه متابعة
 ليس بينهم ما ليس منها^(٢) . والمعنى : اقرأ شيئاً بعد شيء^(٣) والضمير في
 ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عائد إلى اليهود^(٤) وقيل : إلى المشركين^(٥) وقيل : إلى من كان
 حاضراً من كفار اليهود وغيرهم^(٦) والأقرب هو الأول لموافقته لسياق الآيات .

(١) الزجاج ، معاني القرآن وإعراجه (ج ٢ / ٣٩٠)

(٢) الراغب ، المفردات (ج ١ / ١٦٧) بتصريف يسير

(٣) البقاعي ، نظم الدرر (ج ٨ / ١٥٩)

(٤) الزمخشري ، الكشاف (ج ٢ / ١٧٨) ، النسفي ، مدارك التنزيل (ج

١ / ٦١٧) ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (ج ٩ / ٣٨٢)

(٥) القرطبي ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٧٤) ، ابن عاشور ، التحرير

والتنوير (ج ٩ / ١٧٤)

(٦) ابن عطية ، المحرر الوجيز (ج ٢ / ٤٧٦) ، أبو حيان ، البحر المحيط

(ج ٥ / ٢٢٠) ، البقاعي ، نظم الدرر (ج ٨ / ١٥٦)

وقد أشار ابن عاشور إلى فائدة افتتاح بعض القصص القرآني بالفعل (اتل) فقال "وَشَأْنُ الْقَصَصِ الْمُفْتَتَحَةِ بِقَوْلِهِ: وَآتِلْ عَلَيْهِمْ أَنْ يُفْصَدَ مِنْهَا وَعَظُّ الْمُشْرِكِينَ بِصَاحِبِ الْقِصَّةِ، وَيَحْصُلُ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا تَعْلِيمٌ" (١)

وقوله ﴿ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ أي خبره الذي له شأن وخطر (٢) وهنا لم يذكره الله تعالى باسمه وإنما بوصف حاله لأنه المقصود بالوعظ والتذكير فقال: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ ومجيء اسم الموصول مفرد ، فيه إشارة إلى أنه فرد معين كان من . شأنه كذا وكذا ، وقد ذكرت في أسباب نزول الآيات كلام المفسرين في المقصود به ، ومضمون الصلة ﴿ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ والإيتاء هو الإعطاء (٣) ، وهو مستعار للإطلاع وتيسير العلم (٤) من الله تعالى ، وجاء التعبير فيه بـ (نا) الجمع للدلالة على عظم ما أعطي من فضل الله تعالى من العلم ، والمعنى : أعطيناه وعلمناه ويسرنا له ما شئنا من الآيات . واختلف في هذه الآيات التي أوتيتها فقول : حجج التوحيد وفهم أدلته وأعلامه (٥) حتى صار عالما بها ، وقيل : اسم الله الأعظم الذي تجاب به

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير (ج ٩ / ١٧٣)

(٢) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (ج ٣ / ٥٢)

(٣) الراغب ، المفردات (ص ١٨)

(٤) ابن عاشور ، التحرير والتنوير (ج ٨ / ٣٥١)

(٥) الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٧٤) ، الواحدي ، الوسيط

(ج ٢ / ٤٢٧) ، ابن الجوزي ، زاد المسير (ج ٣ / ٢٢٠) ، الرازي ، مفاتيح

الغيب (ج ١٥ / ٤٥)

الدعوات^(١) وقيل : العلم بكتب الله عز وجل كالتوراة وغيرها^(٢)، ويحتمل أن يكون المراد أنه أوتي ذلك كله ، والله أعلم .

وهناك قول نسب لمجاهد بأنها النبوة وأن قومه رشوه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه^(٣) وهو قول رده العلماء وأنكروه واستبعدوه وقالوا بعدم صحته عن مجاهد لأن الله لا يصطفي لرسالته إلا معصوماً عن مثل هذا الحال^(٤).

وقوله ﴿ فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ حقيقة السلخ هو كشط الجلد وإزالته بالكلية عن المسلوخ عنه^(٥) والانسلاخ : الخروج يقال : انسلخت الحية من جلدها أي خرجت^(٦) ، ويقال لكل شيء فارق شيئاً على أتم وجه : انسلخ منه^(٧) واستعير

(١) حكي عن ابن عباس والسدي ، الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ /

٥٧٢ ، ٥٧٣) ، الماوردي ، النكت والعيون (ج ٢ / ٢٧٩)

(٢) الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٧٤) ، السمرقندي ، بحر العلوم

(ج ١ / ٥٦٦) ، ابن الجوزي ، زاد المسير (ج ١٠ / ٥٧٤)

(٣) الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٧٤)

(٤) ابن عطية ، المحرر الوجيز (ج ٢ / ٤٧٦) ، الماوردي ، النكت

والعيون (ج ٢ / ٢٧٩) ، ابن الجوزي ، زاد المسير (ج ٣ / ٢٢٠) ، ابن

كثير ، تفسير القرآن العظيم (ج ٢ / ٢٧٥) وغيرهم

(٥) الألوسي ، روح المعاني (ج ٥ / ١٠٤)

(٦) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (ج ٩ / ٣٨٦)

(٧) الألوسي ، روح المعاني (ج ٥ / ١٠٤)

في الآية للانفصال المعنوي^(١) والمعنى أنه خرج من الآيات بالكلية وانسلخ منها انسلاخ الجلد من الشاة ، بأن كفر بها ، وتبرأ منها ، ونبذها وراء ظهره ، وأقلع عن العمل بما تقتضيه^(٢) فلم يبق لها أي أثر في حياته، قال أبو السعود : " التعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقاً وعن عدم الملاقاة بينهما أبداً للإيدان بكمال مباينته للآيات بعد أن كان بينهما كمال الاتصال "^(٣) وفي نسبة الانسلاخ إليه إشارة إلى أفعال مشينة فعلها ، وجرائم عظيمة اقتحمها ، تسببت في حصول هذا التردّي والانحطاط والحرمان من بركة ما تعلم من الآيات، واستأنس بعضهم بقوله سبحانه

﴿ فَأَنْسَلَخْ مِنْهَا ﴾ في أن العلم لا ينزع من الرجال حيث لم يقل عز وجل (فانسلخت منه)^(٤) وهو موافق لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمْوَهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بَعْلَمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالًا، يُسْتَفْتُونَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ "^(٥)

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير (ج ٨ / ٣٥٢)

(٢) الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٧٥) ، ابن عطية ، المحرر الوجيز

(ج ٢ / ٤٧٧) ، أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (ج ٣ / ٢٩٢)

(٢) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (ج ٣ / ٢٩٢)

(٤) الألوسي ، روح المعاني (ج ٥ / ١٠٤)

(٥) البخاري ، صحيح البخاري ، الاعتصام بالكتاب والسنة / باب ما يُذكر

من دَمِ الرَّأْيِ وَتَكَلَّفِ الْقِيَاسِ ، ١٠٠/٩ : رقم الحديث ٧٣٠٧

وقوله ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ : أي تبعه الشيطان حتى لحقه وأدركه غير مفلت ، وصيره له تابعا ينتهي إلى أمره في معصية الله بعد أن لم يكن مدركا له لسبقه بالإيمان والطاعة ^(١) وقيل : أتبعه الشيطان كفار الإنس وغواتهم أي جعلهم أتباعا له ^(٢) وقيل : أتبعه الشيطان خطواته أي جعله يتبع خطواته ^(٣) والمعنيان الأخيران مبنيان على تعدي الفعل (أتبع) إلى اثنين ، والمعنى الأول مبني على تعديه إلى واحد وهو أبلغ في المعنى لدلالته على شدة تمكنه منه ، واستحواذه عليه ، وقوة تبعيته له ، بحيث لا ينفك عن طاعة الشيطان أبداً .

والشيطان مشتق من (شطن) أي تباعد ، ومنه شطنت الدار أي بعدت ، وعلى هذا فالنون فيه أصلية ، وقيل : النون فيه زائدة من شاط يشيط إذا هلك واحترق ^(٤) وكلاهما متحقق في الشيطان فهو بعيد عن الرحمة هالك .

وقوله ﴿فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾ يحتتمل أن تكون (كان) باقية الدلالة على مضمون الجملة واقعة في الزمان الماضي ، ويحتتمل أن تكون بمعنى

(١) الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٧٦) ، الواحدي ، الوسيط (ج

٢ / ٤٢٧) ، الألوسي ، روح المعاني (ج ٥ / ١٠٤) ابن عاشور ، التحرير

والتنوير (ج ٨ / ٣٥٢)

(٢) الرازي ، مفاتيح الغيب (ج ١٥ / ٤٦)

(٣) الزمخشري ، الكشاف (ج ٢ / ١٧١) ، أبو حيان ، البحر المحيط (ج

٤ / ٤٢٢)

(٤) الراغب ، المفردات (ص ٢٦٤) ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة

(شطن) (ج ١٣ / ٢٣٨)

صار ، أي فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد أن كان من المهتمدين^(١) وفي التعبير بكونه من الغاوين أشد مبالغة في الاتصاف بالغواية من أن يقال (وكان غاويا) لما في ذلك من الدلالة على الرسوخ والتمكن في الغواية^(٢) والغواية ضد الرشد ، وفرقٌ بينها وبين الضلال ، قال تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ النجم: ٢ فنفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الضلالة والغواية ، فالضال هو : الجاهل الذي يجهل الحق ويسلك على غير طريق بغير علم ، والغاوي : هو العالم بالحق ويعدل عنه قصداً إلى خلافه^(٣) ومن هنا جاء وصفه بأنه من الغاوين لمعرفته الحق ، وعدوله عنه ، شأن علماء السوء .

والمح ابن عاشور إلى وجه الترتيب بالفاء بين أفعال الانسلاخ والإتباع والكون من الغاوين فقال: "وَرْتَبْتُ أفعالُ الانسلاخِ والإتباعِ وَالْكَونِ مِنَ الْغَاوِينَ بِفَاءِ الْعُظْفِ عَلَى حَسَبِ تَرْتِيبِهَا فِي الْحُصُولِ، فَإِنَّهُ لَمَّا عَانَدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا هَدَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ حَصَلَتْ فِي نَفْسِهِ ظُلْمَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ مَكَّنَتْ الشَّيْطَانَ مِنْ اسْتِخْدَامِهِ وَإِدَامَةِ إِضْلَالِهِ، فَالانسلاخ من الآياتِ أَثَرٌ مِنْ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ، وَإِذَا أَطَاعَ الْمَرْءُ

(١) أبو حيان ، البحر المحيط (ج ٤ / ٤٢٢) ، أبو السعود ، إرشاد العقل

السليم (ج ٣ / ٥٢)

(٢) الشوكاني ، فتح القدير (ج ٢ / ٣٣٨) ، ابن عاشور ، التحرير

والتنوير (ج ٨ / ٣٥٢)

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (ج ٤ / ٢٥١) ، الشنقيطي ، أضواء

البيان (ج ٧ / ٤٦٤)

الْوَسْوَسةَ تَمَكَّنَ الشَّيْطَانُ مِنْ مَقَادِرِهِ، فَسَخَّرَهُ وَأَدَامَ إِضْلَالَهُ، وَهُوَ الْمُعْبِرُ عَنْهُ بِـ
(فَاتَّبَعَهُ) فَصَارَ بِذَلِكَ فِي زُمْرَةِ الْغَوَاةِ الْمُتَمَكِّنِينَ مِنَ الْغَوَاةِ.. (١)

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ
مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْضِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ أي لو شئنا رفعه بما آتيناها من

الآيات لرفعناه بها أي بسببها بأن نوقفه ونيسر له العمل بها ، ولكن لم نشأ
ذلك لانسلاخه منها وتركه العمل بها (٢) وهذه الرفعة لا تختص بشيء فتكون
في الدنيا والآخرة وذلك بالذكر الحسن والثناء الجميل في الدنيا ، ورفعة
الدرجات في الآخرة .

وقيل معنى آخر أي : لو شئنا لأمتناه قبل أن يعصي فرفعناه إلى الجنة بها أي
بالعمل بها (٣) وفي هذا دلالة واضحة على شرف العلم والعمل به كما قال
تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾
المجادلة : ١١ وأن العلم المجرد من العمل لا تحصل به الرفعة من الله تعالى
وعنده ، وإنما تكون باتباع الحق والعمل به والسعي فيما يرضي الله تعالى .

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير (ج ٩ / ١٧٦)

(٢) الواحدي ، الوسيط (ج ٢ / ٤٢٧) ، الشوكاني ، فتح القدير (ج

(٣٣٨ / ٢)

(٣) النحاس ، إعراب القرآن (ج ٢ / ٨١)

وقوله : ﴿وَلَا كَيْفَ أَخَلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ الكلام متصل بما قبله ذكر فيه السبب الذي من أجله لم يرفع ولم يشرف كما فعل بغيره^(١) وأصل الإخلاق اللزوم على الدوام . يقال: أخلد فلان بالمكان : إذا لزم الإقامة به^(٢) والمعنى: أنه ركن بكليته إلى الدنيا وسكن إلى لذاتها ولزم الميل لشهواتها .

وعبر عن ميله إلى الدنيا بإخلاقه إلى الأرض لأن الدنيا هي الأرض وما فيها وما يستخرج منها من الزينة والمتاع^(٣) وفي هذا الكلام تمثيل لحال المتلبس بالنقائص والكفر بعد الإيمان والتقوى بحال من كان مرتفعاً عن الأرض فنزل من اعتلاء إلى أسفل^(٤) حتى أصبح في الحضيض وهو لا يشعر بما هو فيه من الدناءة والخسة ، ولم يكن اختياره لهذه الدناءة عن هاجس وخطر نفس بل عن ميل الى الدنيا الدنيئة تمكن من القلب وتوطن فيه .

وقوله ﴿وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي انقاد لما دعاه إليه الهوى من إثارة الدنيا وأعرض عن العمل بما تقتضيه الآيات الجليلة التي آتاه الله إياها^(٥) قال الكلبي : اتبع

(١) ابن عطية ، المحرر الوجيز (ج ٤٧٨/٢)

(٢) الرازي ، مفاتيح الغيب (ج ٤٠/١٥) ، القرطبي ، الجامع لأحكام

القرآن (ج ٣٨٦/٩)

(٣) ابن القيم ، الفوائد (ج ١٠٢/١)

(٤) ابن عاشور ، التحرير والتنوير (ج ٣٥٢/٨)

(٥) الواحدي ، الوسيط (ج ٤٢٧ / ٢) ، الألوسي ، روح المعاني (ج

١٠٦/٥) ، الشوكاني ، فتح القدير (ج ٣٣٨/٢)

مسافل الأمور وترك معاليها^(١) قال ابن عاشور: وَاتَّبَاعُ الْهَوَى تَرْجِيحُ مَا يَحْسُنُ لَدَى النَّفْسِ مِنَ النَّقَائِصِ الْمُحْبُوبَةِ، عَلَى مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْحَقُّ وَالرُّشْدُ، فَالِاتِّبَاعُ مُسْتَعَارٌ لِلِاخْتِيَارِ وَالْمَيْلِ، وَالْهَوَى شَاعَ فِي الْمَحَبَّةِ الْمَذْمُومَةِ الْخَاسِرَةِ عَاقِبَتُهَا^(٢) وقد أشار ابن القيم إلى وجه الاستدراك بقوله : ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ فقال: " فَإِنْ قِيلَ الاستدراك بـ (لكن) يقتضي أن يثبت بعدها نفي ما قبلها أو ينفي ما أثبتت كما تقول: لو شئت لأعطيته لكني لم أعطه ولو شئت لما فعلت كذا لكني فعلته، فالاستدراك يقتضي: وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّا لَمْ نَشَأْ، أَوْ فَلَمْ نَرْفَعْ وَلَكِنَّا أَخْلَدَ فكيف استدرك بقوله: ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ بعد قوله ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ قيل: هذا من الكلام الملحوظ فيه المعنى المعدول فيه عن مراعاة الألفاظ إلى المعاني، وذلك أن مضمون قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ أنه لم يتعاط الأسباب التي تقتضي رفعه بالآيات من إيثار الله ومرضاته على هواه ولكنه آثر الدنيا وأخلد إلى الأرض واتبع هواه^(٣) وقوله: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾ : أي فصفته كصفة الكلب^(٤) وفي المثل معنى المشابهة بين شيئين في معنى من المعاني^(٥) وهذا التمثيل

(١) الثعلبي ، الكشف والبيان (ج ١٢ / ٦٠١)

(٢) ابن عاشور ، التحرير والتنوير (ج ١٧٧/٩)

(٣) ابن القيم ، الأمثال (ج ١ / ٣٢)

(٤) الألوسي ، روح المعاني (ج ١٠٧/٥)

(٥) الراغب ، المفردات (ص ٤٦٥)

له بالكلب حال كونه متصفاً بهذه الصفة وهي : قوله : ﴿ إِن تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثٌ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثٌ ﴾ الخطاب في فعل الشرط لكل أحد ممن له الحظ من الخطاب فإنه أدخل في إشاعة فظاعة حاله^(١) ومعنى ﴿ تَحْمِلَ عَلَيْهِ ﴾ أي تشد عليه وتهيجه^(٢) وهو مشتق من الحمل الذي هو الهجوم على أحد لقتاله ، يقال : حمل فلان على القوم حملة شعواء أو منكراً^(٣) . وفي معنى اللهث قال الجوهري : وَلَهَثَ الْكَلْبُ بِالْفَتْحِ يَلْهَثُ لَهْثًا وَلُهْثًا بِالضَّمِّ ، إِذَا أُخْرِجَ لِسَانُهُ مِنَ التَّعَبِ أَوْ الْعَطَشِ^(٤) ، وقال ابن عطية : اللهث تنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم معه وامتداد اللسان^(٥) . ومعنى ﴿ إِن تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثٌ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثٌ ﴾ أي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وأزعجته بالطرد الغنيف أو تركته على حاله^(٦) وقيل في معناها : إِنَّكَ إِذَا حَمَلْتَ عَلَى الْكَلْبِ نَبَحَ وَوَلَّى هَارِبًا ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ شَدَّ عَلَيْكَ وَنَبَحَ ، فَيَتَعَبُ نَفْسَهُ مُقْبِلًا عَلَيْكَ وَمُدْبِرًا عَنْكَ ، فَيَعْتَرِيهِ عِنْدَ ذَلِكَ مَا يَعْتَرِيهِ عِنْدَ الْعَطَشِ مِنْ إِخْرَاجِ اللِّسَانِ^(٧) ، قال ابن قتيبة " كل شيء يلهث وإنما يلهث من إعياء أو عطش أو علة ، خلا الكلب ، فإنه يلهث في حال الكلال ، وحال

(١) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (ج ٥٣/٣)

(٢) القاسمي ، محاسن التأويل (ج ٦٦٨/٣)

(٣) ابن عاشور ، التحرير والتنوير (ج ٣٥٣/٨)

(٤) الجوهري ، الصحاح [لهث] ج ٢٩٣/١

(٥) ابن عطية ، المحرر الوجيز (ج ٤٧٨/٢)

(٦) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (ج ٢٩٣/٣)

(٧) الشوكاني ، فتح القدير (ج ٣٠٣/٢)

الراحة، وحال الصحة والمرض، وحال الريّ والعطش " (١) وسبب هذا اللهث أنها لا تقدر على نفض الهواء المتسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها (٢) والمراد بانقطاع الفؤاد أي ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث (٣) وقد ألمح أبو السعود إلى وجه إثارة الجملة الاسمية في التعبير عن هذا المثل دون الجملة الفعلية كأن يقال: فصار مثله كمثل الكلب.. فقال: "للإيذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استمراره عليها" (٤) والجملة الاسمية أقوى في التعبير والدلالة على المعنى من الجملة الفعلية التي تفيد حدوث الفعل وتجده .

والكلب مضرب المثل في الدناءة والخسة ، فمن دناءته وخسته أنه لا يزال يشم دبره دون سائر أجزائه ، والجيف القدرة المروحة أحب إليه من اللحم الطري وَالْعُدْرَةُ أحب إليه من الحلوى (٥) ومن دناءته كذلك أنه يرجع في قيئه ولذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم الراجع في هبته في الدناءة به فقال: "لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوِّءِ، الْعَائِدُ فِي هَيْبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ" (٦) ولما كان الكلب بهذه المثابة في الخسة ناسب أن يمثل به العالم الضال ولكن في أسوء أحواله وهيئته وهي حال اللهث ، وقد ذكر العلماء أوجها لهذا التمثيل بالكلب : فمن ذلك ما جاء

(١) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن (ج ١ / ٢١٦)

(٢) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (ج ٣ / ٢٩٣)

(٣) ابن القيم ، الأمثال في القرآن (ج ١ / ٢٨)

(٤) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (ج ٣ / ٥٣)

(٥) ابن القيم ، الأمثال (ج ١ / ٢٧)

(٦) النسائي ، المجتبي من السنن ، رجوع الوالد فيما يعطي لولده ،

عن ابن عباس رضي الله عنه " إن تُحمل عليه الحكمة لم يحملها وإن ترك لم يهتد لخير كالكلب ان كان رابضاً لهث وان طرد لهث " (١)

ومن ذلك : أنه مثله به لتركه العمل بكتاب الله وآياته التي آتاها إياه , وإعراضه عن مواظب الله , إذ كان سواءً أمره , وعظ بآيات الله التي آتاها إياه أو لم يوعظ , في أنه لا يتعظ بها ولا يترك الكفر به , فمثله مثل الكلب الذي سواء أمره في لهته, طرد أو لم يطرد, إذ كان لا يترك اللهث بحال (٢)

ومن ذلك : أنه مثله في أنه قد غلب عليه هواه حتى صار لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً بكنب لاهت أبدأ حمل عليه أو لم يحمل عليه فهو لا يملك لنفسه ترك اللهثان (٣)

ومن ذلك : أنه شبه لهته على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدها وحرصه على تحصيلها بلهث الكلب في التي تركه والحمل عليه بالطرد , هذا إن ترك فهو لهثان على الدنيا, وإن وعظ وزجر فهو كذلك فاللهث لا يفارقه في كل حال كلهث الكلب (٤)

وكل هذه الأوجه وغيرها مما ذكره المفسرون مستقيم يحتمله هذا التمثيل البديع . وهناك قول جاء عن السدي بأنه كان يلهث على الحقيقة كما يلهث الكلب (٥) وجاء عن سالم أبي النضر بأن لسانه اندلع فوقع على صدره (١)

(١) الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٨٧)

(٢) الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٨٦)

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن عن بعض العلماء (ج

(٢٨٨ ، ٢٨٩)

(٤) ابن القيم ، الفوائد (ج ١ / ١٠٢)

(٥) الطبري ، جامع البيان (ج ١٠ / ٥٨٨)

والذي عليه أكثر المفسرين أنه من باب التمثيل بالكلب في هذه الحال المذكورة على أوجه ذكرها المفسرون وليس تشبيها به على الحقيقة كما زعم السدي وأبو النضر بدلالة قوله تعالى بعد ذلك ﴿ ذَلِكُمْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٦]

وهو مثل عام في كل مكذب ، وما من شك أنه لا يحصل ذلك لهم .
 وقوله : ﴿ ذَلِكُمْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من التمثيل بتلك الحالة الخسيسة ^(١) وعبر باسم الإشارة للبعد للإيدان ببعده منزلتها في الخسة والدناءة أي : ذلك المثل السيء ^(٢) ﴿ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ اختلف في هؤلاء المكذبين بالآيات فقيل : هم أهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم وداعيا يدعوهم إلى طاعة الله ، ثم جاءهم من لا يشكون في صدقه وأمانته فكذبوه ، فحصل التمثيل بينهم وبين الكلب لأنهم لم يهتدوا لما تركوا ، ولم يهتدوا لما جاءهم الرسول فبقوا على الضلال في كل الأحوال ^(٣) وقيل : هم اليهود حيث أوتوا في التوراة ما أوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر القرآن المعجزة وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، (٤٦١/٣)

(٢) الشوكاني ، فتح القدير (ج ٣٢٩/٢)

(٣) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (ج ٥٤ / ٣)

(٤) الرازي ، مفاتيح الغيب (٥٧/١٥)

وانسلخوا من حكم التوراة^(١) وقيل : هو عام في جميع المكذبين بآيات الله^(٢)
وهو الأقرب لظاهر الآية والله أعلم

وقوله : ﴿ فَأَقْصِبِ الْقَصَصَ ﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أن
يقص القصص الموحى بها إليه ومنها قصة الذي آتاه الله آياته ﴿ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيتعظون وينزجرون عن غيهم ، والظاهر عموم الضمير
لجميع الكفار وعدم تخصيصه بفئة منهم .

وقوله ﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾
استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين^(٣) يقال : ساء الشيء
يسوء : إذا قُبِحَ ، والمعنى : ساء مثلاً مثل القوم^(٤) ، والمعنى : ساء مثلهم أن
شبهوا بالكلاب ﴿ وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ يحتمل عطفه على كَذَّبُوا
داخلٌ معه في حكم الصلّة بمعنى : جمعوا بين تكذيب آيات الله بعد قيام الحجة
عليها وعلمهم بها ، وبين ظلمهم لأنفسهم خاصة ، أو منقطع عنه بمعنى :
وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها ، وأيا ما كان ففي ﴿
يَظْلِمُونَ ﴾ لمحٌ إلى أن تكذبيهم بالآيات متضمنٌ للظلم^(٥)

(١) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (ج ٣ / ٥٤)

(٢) الخازن ، لباب التأويل ، (ج ٢ / ٢٧٣)

(٣) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (ج ٣ / ٥٤)

(٤) ابن الجوزي ، زاد المسير (ج ٢ / ١٧١)

(٥) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (ج ٣ / ٢٩٤)

المبحث الثالث : آفات العلماء من خلال الآيات وفيه مطلبان :

المطلب الأول : اتباع الهوى

المطلب الثاني : الركون إلى الدنيا

المطلب الأول / اتباع الهوى

الله سبحانه تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً ولم يتركه سدى ، قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمُ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴾ (١١٥) ﴿ المؤمنون : ١١٥ ﴾
 وإنما خلقه لمهمة عظيمة جليلة بينها الله تعالى في كتابه تصريحاً فقال ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) ﴿ الذاريات : ٥٦ ﴾ وجعله متعبداً له وفق شرع ينبغي أن لا يحيد عنه ، محكوماً بأوامر الله تعالى ونواهيه ، قال تعالى ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (٥٧) ﴿ الأنعام : ٥٧ ﴾

قال السعدي : " فكما أنه هو الذي حكم بالحكم الشرعي، فأمر ونهى، فإنه سيحكم بالحكم الجزائي، فيثيب ويعاقب، بحسب ما تقتضيه حكمته " (١) وقال منكراً على من يتبع غير شرع الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾ ﴿ الشورى : ٢١ ﴾ وإن حاد المخلوق عن شرع خالقه فليس ثمة إلا الهوى والضلال قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ﴿ القصص : ٥٠ ﴾

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن (ج ١ / ٢٥٨)

قال ابن كثير: "أَيُّ قَائِنٍ لَمْ يُجِيبُوكَ عَمَّا قُلْتَ لَهُمْ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا الْحَقَّ فَأَعْلَمَ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ أَيُّ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ"^(١) وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ص: ٢٦ وما من شك أن العالم هو أحظ الناس بالشرع والاهتداء به، لما هو عليه من العلم بأدلته ودقائق مسائله، فإذا ما نقص على عقبيه واتبع هواه بعد أن استنار بنور الشرع وتبين له الحق كانت التبعة عظيمة في حقه، فإن كان الجاهل يلحقه الذم إذا اتبع هواه، فإنه في حق العالم أقبح وأشنع، والعقوبة له أشد وأفظع، وحينها لا يبالي الله به في أي وادٍ هلك.

وما جاء ذكر الهوى في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلا في موضع الذم له، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يُغَيِّرْ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ القصص: ١٥٠. ١٥٠ قال الطبري: "وَمَنْ أَضَلُّ عَنْ طَرِيقِ الرَّشَادِ، وَسَبِيلِ السَّدَادِ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَى نَفْسِهِ بِغَيْرِ بَيَانٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَعَهْدٍ مِنَ اللَّهِ، وَيَتْرُكُ عَهْدَ اللَّهِ الَّذِي عَاهَدَهُ إِلَى خَلْقِهِ فِي وَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ"^(٢) وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عَشْمًا﴾ الجاثية: ٢٣ قال أبو السعود: "تعجب من حال من ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه عبده"^(٣)

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج ٦/٢١٩)

(٢) الطبري، جامع البيان (ج ٨/٢٧٣)

(٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج ٨/٧٣)

وقد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمور المهلكة فقال " ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ كَفَّارَاتٌ، وَثَلَاثٌ دَرَجَاتٌ. فَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَشَحُّ مُطَاعٌ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ ... الحديث " (١)

والهوى هو : مَيْلُ الطَّبَعِ إِلَى مَا يُلَانِمُهُ (٢) وليس كل هوى وميل للطبع يعد مذموماً ، مثل ميله للطعام والشراب الذي يلائمه ، ولذا لا يصلح ذم الهوى على الإطلاق وإنما المذموم منه المفرط الذي يقع بسببه في المحرمات والتقصير في الواجبات ، وفي تسميته يقول الشعبي : إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه (٣)

وصاحب الهوى أخط درجة من البهائم العجاوات التي لا تعقل ، وما ذاك إلا لعدم انتفاعه بعقله - وهو ضد الهوى - الذي وهبه الله وميزه به عليها حتى يصل به إلى ما ينفعه وينجيهِ من المهلكات ، ولذا لما ذكر الله تعالى من اتخذ إلهه هواه فقال : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴾ (٤٣) ﴿ الفرقان: ٤٣ ﴾ أعقبه بقوله: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٤٤) ﴿ الفرقان:

٤٤

(١) الطبراني ، المعجم الأوسط ، ٤٧/٦ ، رقم الحديث ٥٧٥٤ ، وقال عنه الألباني (حسن لغيره) في صحيح الترغيب والترهيب ، رقم الحديث

(٢) ابن الجوزي ، ذم الهوى (ج ١ / ١٢)

(٣) الدارمي ، سنن الدارمي (ج ١ / ٣٨٩)

ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الكيس العاقل ، جعل مقابله العاجز المتبع لهواه الذي لم يعقل ما ينفعه فيعمل لآخرته ، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ"^(١) والمتأمل في البدع والمعاصي يجد أن منشأها هو اتباع الهوى لأن صاحبها سيسلم قياده لهواه وما تميل إليه نفسه ، ويجعله الإله الذي يتبعه في كل ما يأمره به ، فيعصف به ويوقعه في الشبهات والشهوات ، وربما انسلخ من الدين واستحل المحارم ، وحينها يدركه الشيطان ويتملكه ويقوده حيث شاء كما قال تعالى : ﴿ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ ﴿١٧٥﴾ الأعراف: ١٧٥ .

وقد جاء أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين تخوفه من مثل هؤلاء على أمته فعن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إِنْ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُبِّيتَ بِهِجَّتُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ رِدْنًا لِلْإِسْلَامِ غَيْرَهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ وَرَمَاهُ بِالشَّرِكِ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشَّرِكِ الْمَرْمِيَّ أَمْ الرَّامِيَّ قَالَ : بل الرامي"^(٢)

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، أبوابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ / بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الْحَوْضِ ، ٢١٩/٤ رقم الحديث ٢٤٥٩ وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ (

(٢) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، العلم / ذِكْرُ مَا كَانَ يَتَخَوَّفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ جِدَالَ الْمُتَأَفِّقِ ، ٢٨٢/١ رقم الحديث ٨١ وأورده ابن كثير في "تفسيره" (ج ٣/٤٥٩) عن أبي يعلى، بهذا الإسناد، ثم قال: هذا إسناد جيد

وهذا الحديث ذكرني بقصة أخبرني بها أحد الزملاء الثقات^(١) أن شابا حفظ كتاب الله فالتف حوله بعض أصدقاء السوء فأغروه بالمعاصي والشهوات فلم يتمكنوا من ذلك إلا يسيرا حتى قال لهم يوما إني أشعر بشيء في صدري يمنعني أن أفعل مثل ما تفعلون فقالوا له : إنه القرآن الذي في صدرك ، فاقترحوا عليه أن يقرأه في دورة المياه - مكان قضاء الحاجة - ففعل ذلك ففسيه كله ولم يبق في صدره منه إلا قوله تعالى ﴿ تَمَعَّ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ الزمر: ٨ وبعد أيام يقع له حادث سيارة ويخرج من الدنيا على هذه الخاتمة .

واتباع العالم لهواه دليل على فساد قلبه وخفة عقله ، وسيقوده لا محالة للمحذورات الشرعية وتمحل التأويلات الباطلة في ارتكابه لها ، ويجعله يتقحم الفتاوى المنحرفة التي لا أثارة عليها من دليل أو حجة ، وما يفتأ يتبع الهوى وتزل به القدم ما بين إهمال لواجب ، وترك لسنة ، ووقوع في بدعة ، وفتوى باطلة حتى تظلم روحه ويسود قلبه ولا يفرق بعدها بين منكر ومعروف ويكون حاله حال هؤلاء المنتكسين المذكورين في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " تُعْرَضُ الْقُلُوبُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا، نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُزْبَادًا^(٢) كَالْكُوزِ،

(١) وقد نقلها عن أحد المشايخ عن معلم القرآن لهذا الشاب ، وقد وقعت في مدينته

(٢)الرُبْدَةُ: لَوْنٌ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْعُبْرَةِ . ابن الأثير ، النهاية (ج ٢/١٨٢)

مُجْحَىً^(١) لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ^(٢) وقد أخبر ابن مسعود رضي الله عنه عن هذا الصنف من العلماء بقوله: "أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم، وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى"^(٣)

المطلب الثاني / الركون إلى الدنيا

الدنيا متاع زائل بين الله تعالى وزوالها وحذر منها وضرب الأمثلة على فنائها في آيات كثيرة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾ الكهف: ٤٥، ٤٥ قال السعدي: "يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أصلا ولمن قام بوراثته بعده تبعا: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار. وأن مثل هذه الحياة الدنيا، كمثل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط نباتها، تنبت من كل زوج بهيج، فبينما زهرتها وزخرفها تسر الناظرين، وتفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيمًا تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر، والزهر الزاهر، والمنظر البهي، فأصبحت الأرض غبراء ترابا، قد انحرف عنها

(١) الْمُجْحَى: الْمَائِلُ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ وَالِإِعْتِدَالِ . ابن الأثير ، النهاية

(ج ٢٤٢/١)

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، الإيمان / بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ

غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرُزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ ، ٢٨/١ رقم الحديث ٢٣١

(٣) أبو طالب المكي ، قوت القلوب (ج ٢٨٤/١)

النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب" (١) وفي التحذير منه قال تعالى: ﴿فَلَا تَعُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٣٣) لقمان: ٣٣

والنبي صلى الله عليه وسلم صَوَّرَهَا بِأَقْبَحِ صُورَةٍ فَعَنَّ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتُهُ (٢) ، فَمَرَّ بِجَدِّي أَسَاكَ (٣) مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدَرَاهِمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْنًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَاكَ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: " فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ" (٤) فَإِنْ قَصُرَتْ نَظْرَةُ الْعَالَمِ لَهَا فَاغْتَرَّ بِهَا وَرَكَنَ إِلَيْهَا وَصَارَتْ أَكْبَرَ هَمِّهِ وَجَعَلَ عِلْمَهُ سَبَبًا لِلْوَصُولِ إِلَى حَطَامِهَا ضَلَّ وَأَضَلَّ ، وَشَقِيَ بِهَا حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ وَلَمْ يَقْضِ وَطْرَهُ مِنْهَا ، وَقَدْ قِيلَ : حَبِ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ (٥) وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ : إِنَّمَا يَذْهَبُ بِهَاءِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ إِذَا طَلَبَ بِهِمَا الدُّنْيَا (٦) قَالَ

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن (ج ١/٤٧٨)

(٢) أي أحاطت به من جانبيه . ابن الأثير ، النهاية (ج ٤/٢٠٥).

(٣) أي مُصْطَلَمِ الْأُدُنِيِّينَ مَقْطُوعِهِمَا. ابن الأثير ، النهاية (ج ٢/٣٨٤)

(٤) مسلم ، صحيح مسلم - كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ ، ٤/٢٢٧٢ : رقم الحديث

(٥) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، عن سفيان عن عيسى بن مريم عليه السلام

(٦) الغزالي ، إحياء علوم الدين (ج ١/٦٠)

تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ ﴿ يونس: ٧

يقول ابن القيم : "جعل سُبْحَانَهُ رضى العبد بالدنيا وطمأنينته وغفلته عن معرفة آياته وتدبرها وَالْعَمَلُ بِهَا سَبَبُ شِقَائِهِ وَهَلَاكِهِ وَلَا يَجْتَمِعُ هَذَانِ - أعني الرضى بالدنيا والغفلة عن آيات الرب - إِلَّا فِي قَلْبٍ مِنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ وَلَا يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّ الْعِبَادِ وَإِلَّا قَلَوْا رَسَخَ قَدَمُهُ فِي الْإِيمَانِ بِالْمَعَادِ لَمَا رَضِيَ الدُّنْيَا وَلَا اطمأن إليها وَلَا أَعْرَضَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ" (١)

وهذا الحب للدنيا والركون إليها ، قد يسوقانه إلى بيع دينه بعرض من الدنيا قليل ، فيأخذ الرشاوى ويبدل الفتاوى ، وما كان بالأمس حراما يصبح اليوم حلالاً ، وما كان بالأمس حلالاً يصبح اليوم حراماً ، يكتم العلم ، ويبدل الكلم عن مواضعه ، ويستخدم الألفاظ البراقة الموهمة كقول بعضهم : (تجديد الخطاب الديني) (التسامح الديني) (الإسلام دين المساواة) ونحو ذلك من الألفاظ التي وراءها ما وراءها من مقاصد سيئة في التحريف والتبديل لمفاهيم الدين ، ويسعى إلى المناصب بأي سبيل ، ويتحسر على فوات القليل والكثير ، لا غاية له إلا الدنيا ومتاعها لخسة نفسه ودناءة همته ، وما أكثرهم في زماننا على اختلاف مشاريهم وهم ينتقلون في القنوات الفضائية أو يصدرن المنشورات والمقالات عبر مواقعهم الالكترونية ، يتتبعون ما تشابه من القرآن والسنة ، وما شذ من أقوال الأئمة ، ابتغاء الفتنة ، حتى لبسوا على طغام الناس دينهم وعقيدتهم ، ونشروا في أوساطهم الشبهات وجعلوهم في حيرة ورجح من أمرهم ، بل منهم من انسلخ من دينه وألحد أو تنصر ، وإن كان من هؤلاء المتحدثين في هذه القنوات من ليس بعالم أصلا ، ولكن عوام

(١) ابن القيم ، الفوائد (ج ١ / ١٠٣)

الناس يظنون كل ناعق فيها عليم اللسان أنه على شيء وليس بشيء ، وفي الأثر عن الحسن البصري قال : "عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة" (١) والله در القائل (٢) :

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ... وَلِلْمُشْتَرِي دُنْيَاهُ
بِالدِّينِ أَعْجَبُ ... وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ
مَنْ بَاعَ دِينَهُ ... بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذَيْنِ أَعْجَبُ

وقد قال تعالى ذاماً لمن كان هذا حاله من أهل العلم: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ ﴾ الأعراف: ١٦٩ قال الطبري في معناها " فَتَبَدَّلَ مِنْ بَعدِهِمْ بَدَلٌ سَوْءٌ، وَرِثُوا كِتَابَ اللَّهِ : تَعَلَّمُوهُ، وَضَيَعُوا الْعَمَلَ بِهِ فَخَافُوا حُكْمَهُ، يُرْشَوْنَ فِي حُكْمِ اللَّهِ، فَيَأْخُذُونَ الرَّشْوَةَ فِيهِ مِنْ عَرَضِ هَذَا الْعَاجِلِ الْأَدْنَى، وَيَقُولُونَ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ: إِنَّ اللَّهَ سَيَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا، تَمَنِّيًّا عَلَى اللَّهِ الْأَبَاطِيلِ، وَإِنْ شَرَعَ لَهُمْ ذَنْبٌ حَرَامٌ مِثْلُهُ مِنَ الرَّشْوَةِ بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذُوهُ وَاسْتَحْلَوْهُ، وَلَمْ يَزِدْغُوا عَنْهُ " (٣) ثم ذكروهم بالعهد والميثاق الذي أخذه عليهم ، وما في الآخرة من الجزاء الأوفى لمن خافه واتقاه فقال : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤) الأعراف: ١٦٩ وقال تعالى :

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين (ج ١/ ٥٩)

(٢) البيتان منسوبان للكسائي ، ينظر : المستعصي ، الدر الفريد (ج ٧/ ١٧٤)

(٣) الطبري ، جامع البيان (ج ١٠/ ٥٣٥)

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ ﴿١٧٧﴾ آل عمران: ١٨٧ وقال : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمِ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكُمْ يَحْزِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۗ ﴾ المائدة : ٤١ قال السعدي : " ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ أي: اليهود ﴿ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمِ ءَاخِرِينَ ﴾ أي: مستجيبون ومقلدون لرؤسائهم، المبني أمرهم على الكذب والضلال والغي. وهؤلاء الرؤساء المتبعون ﴿ لَمْ يَأْتُوكُمْ ﴾ بل أعرضوا عنك، وفرحوا بما عندهم من الباطل وهو تحريف الكلم عن مواضعه، أي: جلب معانٍ للألفاظ ما أرادها الله ولا قصدتها، لإضلال الخلق ولدفع الحق" (١) وفي مثل هذا الصنف من المبدلين المحرفين للكلم من بعد مواضعه يقول صاحب الظلال " ولقد رأينا من هؤلاء من يكتب في تحريم الربا كله عاما ، ثم يكتب في حله كذلك عاما آخر ، ورأينا من يبارك الفجور وإشاعة الفاحشة بين الناس ، ويخلع على هذا الوحل رداء الدين وشاراته وعناوينه " (٢)

وأين هؤلاء من العز بن عبدالسلام رحمه الله تعالى عندما أفتى وهو بدمشق بحرمة بيع السلاح للفرنجة الذين اصطلح معهم الملك الصالح إسماعيل - سلطان دمشق - على أن ينجدوه على الملك الصالح أيوب - سلطان مصر - فاعتقله ثم أفرج عنه ونزح إلى بيت المقدس ، فلما وصل الملك الصالح إسماعيل بيت المقدس في طريقه إلى مصر ومعه ملوك الفرنج بعساكرهم

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن (ج ١/٢٣١)

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن (ج ٣/١٣٩٨)

أرسل بعض خواصه بمنديله إلى ابن عبدالسلام وقال له : تدفع منديلي إليّ الشَّيْخ وتتلطف به غَايَةَ التلطف وتستنزله وتعدده بِالْعُودِ إليّ مناصبه على أحسن حال ، فَإِنْ وَافَقَكَ فَتَدْخُلْ بِهِ عَلَيَّ وَإِنْ خَالَفَكَ فَاعْتَقِلْهُ فِي خِيْمَةِ إِلَيَّ جَانِبَ خَيْمَتِي فَلَمَّا اجْتَمَعَ الرَّسُولُ بِالشَّيْخِ شَرَعَ فِي مَسَايِسْتِهِ وَمَلَايِنْتِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ : بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَنْ تَعُودَ إِلَيَّ مَنَاصِبُكَ وَمَا كُنْتَ عَلَيْهِ وَزِيَادَةُ أَنْ تَنْكَسِرَ لِلسُّلْطَانِ وَتَقْبَلَ يَدَهُ لَا غَيْرَ فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ يَا مَسْكِينِ مَا أَرْضَاهُ أَنْ يَقْبَلَ يَدِي فَضِلَا أَنْ أَقْبَلَ يَدَهُ ، يَا قَوْمِ أَنْتُمْ فِي وَادٍ وَأَنَا فِي وَادٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكُمْ بِهِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ رَسَمَ لِي إِنْ لَمْ تَوَافِقْ عَلَيَّ مَا يَطْلُبُ مِنْكَ وَإِلَّا اعْتَقَلْتُكَ فَقَالَ : افْعَلُوا مَا بَدَالَكُمْ فَأَخَذَهُ وَاعْتَقَلَهُ^(١).

فلم يثنه - رحمه الله - الإغراء ولا التهديد عن الحق الذي عليه ، ولم يقبل إذلال نفسه لهوان الدنيا عليه ، شأن العلماء الصادقين .

(١) تقي الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى (ج ٨/٢٤٣ ، ٢٤٤)

المبحث الرابع / سبل الوقاية من آفات العلماء

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الإخلاص والعمل

المطلب الثاني : البصيرة بالدنيا وتذكر الآخرة

المطلب الثالث : الخوف من الله تعالى ومراقبته

المطلب الرابع : تذكر التبعة في اقتداء الناس بهم.

المطلب الأول : الإخلاص والعمل

العلم عبادة بل من أشرف العبادات وأفضلها ، والعبد مأمور بالإخلاص لله تعالى في كل ما يتعبده الله تعالى به ، قال تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ البينة: ه وقال ﴿ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ الزمر: ه وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا أَخْلِصَ لَهُ " (١).

والعلم من أكثر الأعمال الصالحة عرضة للرياء والسمعة ، ولذا جاء التحذير الشديد في المراعاة فيه وابتغاء غير وجه الله به ، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُفْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ... إِلَى أَنْ قَالَ : وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ

(١) الدار قطني ، سنن الدارقطني ، باب النية ، ٧٧/١ : رقم الحديث ١٣٣ ،

وقال المنذري في إسناده : لا بأس به ، لكن الضحاك بن قيس مختلف في

صحبه ، المنذري ، الترغيب والترهيب (ج ٢٣/١) وصححه الألباني في

صحيح الترغيب والترهيب (ج ١٠٥/١)

لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقُرَأَتِ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ" (١) وكذلك ما رواه أبو هريرة أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" يَغْنِي رِيحَهَا... (٢) وما رواه جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِنَبَاهُهَا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتَمَارُؤِهَا بِالسُّفَهَاءِ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهَا الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالِنَّارِ النَّارُ" (٣) فإذا استحضر العالم النية الصالحة في تعلمه وتعليمه، وتذكر عقوبة من تفسد نيته أو يكون بها دخن مهما قل، فإن حاله سيصلح وتهون عنده الدنيا وعرضها القليل الفاني، وإذا اقترن بهذه النية الصالحة العمل بعلمه من واجبات وسنن - وهو الغاية من العلم - مع التأدب بآداب العلم، والتخلق بأخلاق أهله، زكى علمه وبارك الله فيه - ولو قل - ونفع به الناس ورزقه الله الثبات على الحق والهداية إلى الصراط

(١) مسلم، صحيح مسلم، الإمامة / مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ،

١٥١٣/٣: رقم الحديث ١٩٠٥

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، العلم / بَابُ فِي ظَلَبِ الْعِلْمِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى،

٣٢٣/٣: رقم الحديث ٣٦٦٤ وصححه الألباني في صحيح الترغيب

والترهيب ١٥٣/١

(٣) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، باب الْإِنْتِفَاعِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ، ٩٣/١:

رقم الحديث ٢٥٤، وصححه العراقي في الإحياء (ج ١/٥٩)،

والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ج ١/١٥٤)

المستقيم حتى يأتيه اليقين ، قال تعالى ﴿ وَوَأَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ﴾

لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيَةً ﴿٦٦﴾ النساء: ٦٦

قال أبو السعود : ﴿ وَوَأَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ﴾ من متابعة الرسول

صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهراً و باطنياً ﴿

لَكَانَ ﴾ أي فعلهم ذلك خيراً لهم عاجلاً وأجلاً ﴿ وَأَشَدَّ تَثْبِيَةً ﴾ لهم

على الإيمان وأبعد من الاضطراب فيه وأشدَّ تثبيتاً لثواب أعمالهم (١) وقال

تعالى ﴿ وَإِن تَطِيعُوا تَهْتَدُوا ﴾ النور: ٥٤

وجاء عن علي بن أبي طالب : "هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل" (٢)

وهذا أمر مشاهد معهود ، فإن العلم إذا كان مجرداً من العمل نسي وذهب ،

وإن رافقه العمل ثبت ورسخ .

وذاك العالم الذي آتاه الله آياته - المذكور في الآيات - ما كان انسلاخه منها

إلا بسبب عدم عمله بالعلم الذي حمله ومخالفته له ، فجوزي بإتباع الشيطان

له واستحوذه عليه وانضمامه لزمرة الغاوين ، ولذلك جاء الإنكار على من

يخالف قوله عمله في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ

تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٥١﴾ الصف: ٢ وقوله : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ البقرة: ٤٤ وفي

خطورة العلم وتحمله يقول الغزالي : " العالم إما متعرض لهلاك الأبد أو

(١) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم (ج ٢/ ١٩٨)

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (ج ١٧/ ٢٠)

لسعادة الأبد ، وإنه بالخوض في العلم قد حُرم السلامة إن لم يدرك السعادة^(١).

المطلب الثاني : البصيرة بالدنيا وتذكر الآخرة

يجب على العالم أن ينظر إلى الدنيا بعين البصيرة ، فيراها على حقيقتها التي خلقها الله عليها^(٢) ، وأنها زائلة لا محالة أو هو زائل عنها وتارك لها وراء ظهره ، وهو الذي آتاه الله من فضله ، وآثره بالعلم على كثير من خلقه ، وجعله مبلغاً عنه آياته وأحكامه ، فكان حرياً أن يكون أبعد الناس عن الاعتزاز بمتاعها والوقوع في أحوالها وأشدهم حذراً من غوائلها ، قال تعالى في قصة قارون لما خرج على قومه في زينته: ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ القصص:

١٧٩

فكان الرد من أولي العلم والبصيرة : ﴿ وَيَلَكُمُ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ القصص: ٨٠ هكذا هي نظرة أهل العلم المستبصرين ، دون نظرة الجهال القاصرين الذين لا تتجاوز نظرهم هذا الحطام الفاني ، إن نظرة أهل العلم هي للثواب الأفضل والأكمل والأبقى ﴿ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ يقول السعدي : " قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ ﴿ القصص: ٨٠ الذين عرفوا حقائق الأشياء، ونظروا إلى باطن الدنيا، حين نظر أولئك إلى ظاهرها: ﴿ وَيَلَكُمُ ﴾ متوجعين مما تمنوا لأنفسهم، راشرين

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين (ج ١/ ٥٩)

(٢) وقد مضى بعض الآيات والأحاديث الدالة على هذه الحقيقة صفحة ٢١

لحالهم، منكربن لمقالهم: ﴿ تَوَابُ اللَّهِ ﴾ العاجل، من لذة العبادة ومحبهه، والإنابة إليه، والإقبال عليه ، والآجل من الجنة وما فيها، مما تشتهي النفس وتلذ الأعين ﴿ حَيْرٌ ﴾ من هذا الذي تمنيتم ورغبتم فيه، فهذه حقيقة الأمر، ولكن ما كل من يعلم ذلك يؤثر الأعلى على الأدنى " (١) فإذا ما استقر في قلب العالم التذكر الدائم للآخرة وثوابها وعقابها هانت عليه الدنيا وملذاتها ، ولم يجعل لها سبيلاً إلى قلبه حتى لا تحول دون وصوله إلى النعيم المقيم والنجاة من العذاب الأليم ، قال تعالى ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ القصص: ٦٠

قال الغزالي : " إن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ، ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وأنهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى ... فإن من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بألمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل ... فكيف يكون من العلماء من لا عقل له .. ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته " (٢)

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن (ج ١/٦٢٣)

(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين (ج ١/٦٣٤)

المطلب الثالث : الخشية من الله تعالى ومراقبته

العلماء هم أعظم الناس خشية لله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فاطر : ٢٨

وما ذاك إلا لمعرفةهم بالله تعالى وأسمائه وصفاته معرفة تبعث إلى تعظيم الله تعالى وخشيته، والخشية كما يقول الراغب هي : "خوف يشوبه تعظيم" (١) ولذا على العالم أن يستشعر عظمة ربه ويحدث نفسه بها دائماً وأنه أولى الناس بذلك ، فإذا تمكنت المعرفة من قلبه حتى استولت عليه وقهرته أثمرت تلك الحالة من مراعاة قلبه للرقيب واشتغاله به وملاحظته إياه ، ومن ثم ينتج الخوف الذي يحول دون نفسه وما تهواه ، قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (٤٠) النازعات : ٤٠ ونلاحظ كيف قرن الله تعالى بين خوف العبد من مقام ربه وبين انتهاء نفسه عما تهواه وتميل إليه مما فيه فسادها وعطبها ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ آل عمران : ١٩٩

قال السعدي : " أي : وإن من أهل الكتاب طائفة موفقة للخير، يؤمنون بالله، ويؤمنون بما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، ولهذا -لما كان إيمانهم عاما حقيقيا- صار نافعا، فأحدث لهم خشية الله، وخضوعهم لجلاله الموجب للانقياد لأوامره ونواهيته، والوقوف عند حدوده ... ومن تمام خشيتهم لله، أنهم ﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ فلا يقدمون الدنيا

(١) الراغب ، المفردات (ج ١/٢٨٣)

على الدين ^(١) والنبي ﷺ ربط بين الخشية والرقابة في قوله لما سئل عن الإحسان: " أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" ^(٢) وفضيلة هذا الخوف بقدر ما يحرق من الشهوات ويحجز عن المحارم.

وقد قيل: " ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه ، إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه " ^(٣) وإذا لازم الخوف قلب العالم فإنه سينتفع كذلك بمواعظ الله وإنذاراته ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ يس : ١١ فلا تنزل هذه المواعظ والإنذارات إمدادات لقلبه فيكون بها حياً أبداً .

المطلب الرابع : تذكر التبعة في اقتداء الناس بهم.

الناس في العادة يقتدون بالعلماء ويتأسون بهم ، وأقوالهم وأفعالهم عندهم حجة يحتجون بها فيقول أحدهم : سمعت الشيخ قال كذا ، وأفتى بكذا ، ورأيت الشيخ فعل كذا ، وما ذاك إلا لمعرفةهم بحمله للعلم الشرعي ، وظنهم أنه لن يخالفه ولن يتقدم بين يدي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بقول أو فعل ، فإذا استحضر العالم هذه النظرة من عوام الناس كان على حذر مما يأتي ويذر، حتى لا يكون فتنة لهم كما قال عمر رضي الله عنه " إذا زل العالم

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن (ج ١/ ١٦٢)

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، الإيمان / الإسلام مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ ،

٤٠/١ : رقم الحديث ١٠

(٣) القشيري ، الرسالة القشيرية (ج ١/ ٢٥٣)

زل بزلته عالم^(١) وقال معاذ رضي الله عنه : " احذروا زلة العالم لأن قدره من الخلق عظيم فيتبعونه على زلته "^(٢)

وإذا فاته ذلك واتبع هواه وتجراً على محارم الله ولم يتق الله في فتواه فكم سيضل بسببه من أقوام ، فربما استحلوا محارم الله عند رؤيتهم له وهو يواقعها ، إما ظناً منهم بحلها ، أو استهانة بها لرؤيتهم هذا العالم وهو يقارفها ، ولربما استحلوها بفتاواه الباطلة ، فما أشد فرحهم بها ونشرهم لها لموافقته لأهوائهم ، ويجعلون من فتواه حجة لهم في فعل ما حرم الله عليهم ، فما أعظم الآثام التي يبوء بها ويحملها علماء السوء الضالون المضلون وقد قال تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ النحل: ٢٥ وقال : ﴿ وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ وَلَيْسَتَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ العنكبوت: ١٣ ومثل العالم في الناس كمثل الملح في الطعام يصلحه ، وإذا فسد الملح فما الذي يصلحه ؟ وقد أثر عن مسروق^(٣) :

يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ يَا مَلْحَ الْبَلَدِ ... مَنْ يُصْلِحِ الْمِلْحَ إِذَا الْمِلْحُ فَسَدَ
يخبرني بعض من أتق به من البلاد العربية أنه يعرف رجلاً طلق زوجته وكانت الطلقة الثالثة فاستفتى بعض أهل العلم فأخبره بحرمة زوجته عليه إلا أن تنكح زوجاً غيره ، فذهب إلى شيخ آخر وعرض عليه الأمر فقال له : ماذا قال لك فلان - يعني الشيخ الأول - فقال له : كذا وكذا ، فقال : الأمر كما أفتاك به

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين (ج ١ / ٦٤)

(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين (ج ١ / ٦٤)

(٣) الذهبي ، تاريخ الإسلام (ج ٣ / ٥٦٣)

، فلم يزل يلح على الشيخ ليجد له مخرجاً ، ثم عرض عليه شيئاً من المال ليصدر له فتوى مكتوبة ليربيها أهل الزوجة ، فوافق آخر الأمر وحرر له فتوى بعدم وقوع الطلاق بسبب غضب الزوج وختم عليها ، فلما سلم له المال وكان خمسة آلاف - بعملة بلدهم - فقال مستقلاً لها :

هذه ولا حق غمسة ، يعني ماذا تساوي في مقابل غمسة واحدة في النار ، جراءة منه واستخفافاً نسأل الله السلامة والعافية .

وهذا الصنف من العلماء هم الذين خافهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته ، فعن أبي زر رضي الله عنه قال : كُنْتُ مُخَاصِرَ (١) النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَالِ" فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَدْخُلَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ شَيْءٍ أَخَوْفُ عَلَى أُمَّتِكَ مِنَ الدَّجَالِ؟ قَالَ: "الْأَيْمَةُ الْمُضَلِّيْنَ" (٢)

انتهى البحث والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

(١) الْمُخَاصِرَةُ : أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلُ بِيَدِ رَجُلٍ آخَرَ يَتَمَاشِيَانِ وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

عِنْدَ خَصْرِ صَاحِبِهِ. ينظر : ابن الأثير ، النهاية (ج ٣٧/٢)

(٢) أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ، ٢٢٣/٣٥ ، رقم الحديث ٢١٢٩٧ ،

قال العراقي : أخرجه أحمد من حديث أبي زر بإسناد جيد ، ينظر : الغزالي

، إحياء علوم الدين (ج ١/٥٩)

الخاتمة

- خاتمة البحث وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث وهي كالآتي :
- * قصص القرآن أصدق القصص وأحسنها لأنها تنزيل من رب العالمين
 - * الحكمة من قص القصص هو التفكير فيها والاتعاظ بما فيها من العبر
 - * أقرب الأقوال أن الآيات المذكورة نزلت في رجل من بني اسرائيل كان على علم من الكتاب
 - * ضرب الأمثال من أساليب القرآن في تجلية العقيدة وتقويم السلوك لتقريب المعاني للأفهام
 - * اقتصار الآيات على مواضع العبرة من القصة دون الدقائق والتفاصيل التي لا طائل من ورائها
 - * على الدعاة والعلماء أن يعنوا بالأسلوب القصصي في دعوتهم إلى الله وبيان الحق للناس
 - * الركون إلى الدنيا والتعلق بها من أعظم آفات العلماء ، تقطع عليهم الطريق إلى الآخرة
 - * اتباع الهوى مزلق عظيم تزل به أقدام العلماء فيهبوا بذلك في واد سحيق
 - * العلم بلا عمل خطر على العالم يوجب إقامة الحجة عليه
 - * زلة العالم زلة العالم فليكن العالم منها على حذر
 - * الشيطان بالمرصاد لمن ينحرف عن طريق الحق فيستحوذ عليه ويقوده حيث شاء من المهالك
 - * من علم الحق فأهمل العمل به كان غاويا ، ومن جهله وعمل على غير هدى كان ضالا
 - * ركون العالم إلى الدنيا واتباعه لهواه دليل على دناءته وخسته ، مثله كمثل الكلب اللاهث في كل أحواله

* ما ضربه الله تعالى من المثل بالكلب اللاهث ينطبق على كل من كذب
بآيات الله بعد بيانها له

* فتنة العلم من أشد الفتن التي يبتلى بها الناس ، ولا معصوم إلا من
عصمه الله برحمته

* معرفة طرق الغواية مطلوب من العلماء كي يحذروا ويحذروا من سلوكها
* الغالب في منهج القرآن القصصي أن يبين الصفات والأعمال السيئة
لأصحاب القصة دون أسمائهم للستر عليهم أو لعدم الفائدة من ذكرها ،
ولتبقى أعمالهم وصفاتهم محط أنظار المعتبرين

* ينبغي للعالم محاسبة نفسه بين حين وآخر ليصحح أخطائه ويعدل سلوكه
ليكون قدوة حسنة للآخرين

* تذكر المقام بين يدي رب العالمين من أعظم ما ينهى النفس عما تشتت به
وتهواه

* أبشع صور الانسلاخ من الآيات هو الكفر بها والتبرؤ منها
* النظر إلى الدنيا على حقيقتها والتبصر بها يصغرها في عين العالم ويحقرها
في قلبه فلا يبالي بها إن أقبلت عليه أو أدبرت عنه

* العمل بالعلم من أعظم موجبات الثبات على الحق والصراط المستقيم
* رفعة شأن العلماء في الدنيا والآخرة بالعلم والعمل به والتخلق بأخلاقه ،

ونزول قدرهم في الدنيا والآخرة باتباع الهوى والركون إلى الدنيا

* الإخلاص في العلم والعمل به هما سبيل الفوز والنجاة

* حب الدنيا واتباع الهوى من وراء المعاصي والبدع

* الدنيا ظل زائل يركن إليه الجاهل ويحذر منه العاقل

* أخسر الناس عالم باع دينه بعرض من الدنيا

فهرس المراجع والمصادر

٢	اسم الكتاب
١	القرآن الكريم
٢	ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (١٤١٩) تفسير القرآن العظيم . المحقق : أسعد محمد الطيب(الطبعة الثالثة) المملكة العربية السعودية . المكتبة نزار مصطفى الباز
٣	ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري.(١٩٧٩) النهاية في غريب الحديث والأثر . المحقق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي . بيروت . المكتبة العلمية
٤	ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد . نم الهوى . المحقق : مصطفى عبد الواحد
٥	ابن الجوزي،أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (١٩٩٢) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك . المحقق : محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر (الطبعة الأولى) بيروت . دار الكتب العلمية، بيروت
٦	ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني ١٩٩٥م ، مجموع الفتاوى المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية
٧	ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (١٩٩٣) صحيح ابن حبان

	بترتيب ابن بلبان . المحقق : شعيب الأرنؤوط (الطبعة الثانية) بيروت. مؤسسة الرسالة - بيروت
٨	ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٩٨٤) التحرير والتنوير . تونس . دار التونسية للنشر
٩	ابن عطية ، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . المحقق : عبد السلام عبد الشافي محمد . بيروت . دار الكتب العلمية
١٠	ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . تأويل مشكل القرآن . المحقق : إبراهيم شمس الدين . بيروت . دار الكتب العلمية
١١	ابن قيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية . (١٩٧٣) الفوائد (الطبعة الثانية) بيروت دار الكتب العلمية
١٢	ابن قيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية (١٩٨٦) الأمثال في القرآن . تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد (الطبعة الأولى) مصر . مكتبة الصحابة
١٣	ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي تفسير القرآن العظيم (١٤١٩) المحقق : محمد حسين شمس الدين (الطبعة الأولى) بيروت . دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون
١٤	ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (١٤١٤) لسان العرب (الطبعة الثالثة) بيروت . دار صادر

١٥	أبو السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم . بيروت . دار إحياء التراث العربي
١٦	أبو حيان ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (١٤٢٠) البحر المحيط في التفسير . المحقق : صدقي محمد جميل . بيروت . دار الفكر
١٧	أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني . سنن أبي داود . المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد . بيروت . المكتبة العصرية
١٨	أبو دود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني . سنن أبي داود . المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد . بيروت . المكتبة العصرية
١٩	أبو طالب المكي ، محمد بن علي بن عطية الحارثي، (٢٠٠٥) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد . المحقق : د. عاصم إبراهيم الكيالي (الطبعة الثانية) بيروت . دار الكتب العلمية
٢٠	أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني(١٩٧٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . مصر . السعادة
٢١	الألباني ، محمد ناصر الدين (٢٠٠٠) صحيح التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيبِ . (الطبعة الأولى) الرياض . مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
٢٢	الألباني ، محمد ناصر الدين . صحيح وضعيف سنن أبي داود
٢٣	الألوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني . (١٤١٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (الطبعة الأولى) بيروت . دار الكتب العلمية

<p>البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي لمحمد زهير بن ناصر الناصر (١٤٢٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (الطبعة الأولى) دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)</p>	٢٤
<p>البغوي ، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (١٤٢٠) معالم التنزيل في تفسير القرآن . المحقق : عبد الرزاق المهدي (الطبعة الأولى) بيروت . دار إحياء التراث العربي</p>	٢٥
<p>البقاعي ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . القاهرة . دار الكتاب الإسلامي</p>	٢٦
<p>الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك ، (١٩٧٥) سنن الترمذي . المحقق : أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة (الطبعة الثانية) مصر . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي</p>	٢٧
<p>الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (١٩٨٣) يتمة الدهر في محاسن أهل العصر . المحقق : د. مفيد محمد قمحية (الطبعة الأولى) بيروت . دار الكتب العلمية</p>	٢٨
<p>الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (٢٠١٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن . المحقق : عدد من الباحثين . (الطبعة الأولى) جدة . دار التفسير، جدة</p>	٢٩
<p>الجوهري إسماعيل بن حماد الفارابي . (١٩٨٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . المحقق : أحمد عبد الغفور (الطبعة الرابعة) بيروت . دار العلم للملايين</p>	٣٠

٣١	الخانز ، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، (١٤١٥) لباب التأويل في معاني التنزيل . تصحيح محمد علي شاهين (الطبعة الأولى) بيروت . دار الكتب العلمية
٣٢	الدار قطني ، علي بن عمر بن أحمد البغدادي (٢٠٠٤) سنن الدار قطني . المحقق : شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم (الطبعة الأولى) بيروت . مؤسسة الرسالة
٣٣	الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد ، التميمي السمرقندي (٢٠٠٠) سنن الدارمي . المحقق : حسين سليم أسد الداراني (الطبعة الأولى) المملكة العربية السعودية . دار المغني للنشر والتوزيع
٣٤	الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٢٠٠٣) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام . المحقق : د. بشار عواد معروف (الطبعة الأولى) دار الغرب الإسلامي
٣٥	الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد (١٤١٢) المفردات في غريب القرآن . المحقق : صفوان عدنان الداودي (الطبعة الأولى) دمشق - بيروت . دار القلم، الدار الشامية
٣٦	الزجاج ، إبراهيم بن السري بن سهل، (١٩٨٨) معاني القرآن وإعرابه . المحقق : عبد الجليل عبده شلبي (الطبعة الأولى) بيروت . عالم الكتب
٣٧	الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (١٤٠٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (الطبعة الثالثة) بيروت . دار الكتاب العربي

٣٨	السبت ، خالد بن عثمان . (١٤٢٦) قواعد التفسير (جمعا ودراسة) (الطبعة الأولى) الرياض . دار ابن القيم
٣٩	السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (١٤١٣) طبقات الشافعية الكبرى . المحقق : د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو (الطبعة الثانية) هجر للطباعة والنشر والتوزيع
٤٠	السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله . (٢٠٠٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللوحيق . (الطبعة الأولى) مؤسسة الرسالة
٤١	السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم . بحر العلوم
٤٢	سيد قطب (١٤١٤) في ظلال القرآن ، (الطبعة الحادية والعشرون) بيروت . دار الشروق ، بيروت
٤٣	السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين . الدر المنثور . بيروت . دار الفكر
٤٤	الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (١٩٩٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . بيروت . دار الفكر للطباعة و النشر
٤٥	الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (١٤١٤) فتح القدير (الطبعة الأولى) دمشق-بيروت . دار ابن كثير، دار الكلم الطيب
٤٦	الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم . المعجم الأوسط . المحقق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني . القاهرة. دار الحرمين

<p>٤٧ الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (٢٠٠٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن المحقق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. الأولى . بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان</p>	٤٧
<p>٤٨ عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (١٩٨٢) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (الطبعة الأولى) مكة المكرمة . دار مكة للنشر والتوزيع</p>	٤٨
<p>٤٩ فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (١٤٢٠) مفاتيح الغيب (الطبعة الثالثة) بيروت . دار إحياء التراث العربي</p>	٤٩
<p>٥٠ القاسمي ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (١٤١٨ هـ) محاسن التأويل المحقق: محمد باسل عيون السود الطبعة: الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية</p>	٥٠
<p>٥١ القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (١٩٦٤) الجامع لأحكام القرآن . المحقق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (الطبعة الثانية) القاهر . دار الكتب المصرية</p>	٥١
<p>٥٢ القزويني محمد بن يزيد ابن ماجه ، سنن ابن ماجه . محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء الكتب العربية .</p>	٥٢
<p>٥٣ القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك . الرسالة القشيرية . المحقق : د. عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف القاهرة . دار المعارف</p>	٥٣

٥٤	لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي . (١٤٢٢) زاد المسير في علم التفسير . المحقق : عبد الرزاق المهدي . (الطبعة الأولى) بيروت . دار الكتاب العربي
٥٥	الماوردي ، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، النكت والعيون ، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
٥٦	المستعصي ، محمد بن أيدير (٢٠١٥) الدر الفريد وبيت القصيد . المحقق : د. كامل سلمان الجبوري (الطبعة الأولى)بيروت . دار الكتب العلمية
٥٧	مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت . دار إحياء التراث العربي
٥٨	المنذري ، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين (١٤١٧) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف . المحقق : إبراهيم شمس الدين (الطبعة الأولى) بيروت . دار الكتب العلمية
٥٨	النَّحَّاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (١٤٠٨) الناسخ والمنسوخ . المحقق : د. محمد عبد السلام محمد (الأولى) الكويت . مكتبة الفلاح
٥٩	النَّحَّاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (١٤٢١ هـ) . إعراب القرآن . وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم (الطبعة الأولى) بيروت . دار الكتب العلمية
٦٠	النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (١٩٨٦) النسائي المجتبي من السنن . المحقق : عبد الفتاح أبو

غدة (الطبعة الثانية) حلب . مكتب المطبوعات الإسلامية	
النسفي ، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (١٩٩٨) مدارك التنزيل وحقائق التأويل . حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو (الطبعة الأولى) بيروت . دار الكلم الطيب	٦١
الواحدي ، علي بن أحمد (١٤٢٤) أسباب النزول . تحقيق كمال زغلول (الطبعة الثالثة) بيروت . دار الكتب العلمية	٦٢
الواحدي ، علي بن أحمد بن محمد بن علي ، النيسابوري (١٩٩٤) الوسيط في تفسير القرآن . المحقق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون (الطبعة الأولى) بيروت . دار الكتب العلمية	٦٣